وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة القادسية
كلية الاداب
قسم الاثار

البيئة وآثارها على الفكر الرافديني

بحث تقدم به الطالب

سيف جلال علي

الـــــى اللجنة العلمية في كلية الاداب /قسم الاثار بجامعة القادسية
وهو جزء من متطلبات نيل شهادة البكالوريوس في علوم الاثار

اشـــــراف

ألدكتور محمد السياب

١٤٣٨ هـ ٢٠١٧ م

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾

صدق الله العلي العظيم

سورة الإسراء: ٨٥

الإهداء

من كنت لهُ عبداً..... **ربي**

من بلغ الرسالة وادى الامانة.....ونصح الامة

نبي الرحمة ونور العالمين .....الذي دنى .....فكان قاب قوسين ....

.....**نبي الهدى محمد** ﷺ

معز الاولياء.... ووارث الانبياء.....وخاتم الاوصياء ..

مالئ الارض عدلاً ةقسطا .....

الامام القائم المنتظر(عجل الله فرجه)

غريب الغرباء..... الذي احيا مدينة سورى

الامام القاسم بن الامام موسى الكاظم()

الى من أزال الاشواك عن دربي ...وتحمل الالم عني

ليمهد لي الطريق.....القلب الكبير

والدي العزيز(اطال الله في عمره)

من قذفت لي الحنان بدعائها فانارت دربي

والدتي الغالية

من منحني الكثير من وقته وشاركني مشوار البحث

أساتذتي الأفاضل .... تواضعاً لسخائهم العلمي

إخوتي ، وزملائي .... حباً ووفاءً

اهدي ثمرة جهدي المتواضع هذا

الباحث

شكر وإمتنان

"ولا تنسو الفضل بينكم"

الحمد لله الأول قبل الأنشاء والاحياء والآخر بعد فناء الاشياء العليم الذي لا ينسى من ذكره ولا ينقص من شكره ولا يخيب من دعاه ولا يقطع رجاء من رجاه الحمد لله الذي جعل الحمد مفتاحاً لذكره وسبباً لمزيد من فضله ودليل على آلائه وعظمته احمده مع اعترافي بالذنب والتقصير واشكره على ما أعانني ويسر لي العسير ونستغفره ونتوب إليه ونسأله التوفيق لكل ما يرضيه ويبعدنا عن كل سخطه وان لا يكلنا لأنفسنا طرفة عين فنكون من الهالكين والحمد لله الذي بعونه بدأت وعليه توكلت والصلاة والسلام على سيدنا محمد (ﷺ).

فأني بعد أنجاز دراستي أتقدم بخالص شكري وأمتناني الى الاستاذ المشرفة الذي كان مشرف علمياً أميناً ويتمتع بأخلاق عالية ورصانة علمية فأسأل الله ان يجزيه أفضل الجزاء في الدنيا والآخرة لأنه قدم لنا الكثير خلال مرحلة كتابة البحث الدكتور**محمد السياب.**

وخالص الشكر والعرفان للأساتذتي في كلية الاداب / قسم الاثار بقبول مناقشة البحث كما اتوجه بالشكر والتقدير الى كل الأساتذة الذين أوهبوني العلم و كما اقدم خالص شكري وتقديري الى جميع اساتذتي الذين تلمذت على ايديهم في مرحلة الدراسة .

وأوجه شكري وامتناني الى عائلتي التي تحملت معي كل الصعوبات بقلب واسع وتشجيع دائم واخص بالذكر (**والدي الحنونين**) الذين كانوا سندي طوال مدة البحث، وختامنا اشكر كل من قدم لي مساعدة علمية توجهيه او النصح ممن لا تسعني الذاكرة من ذكرهم جميعاً راجياً للجميع النجاح والموفقيه ومن الله التوفيق

الباحث

ت	الفهرس	رقم الصفحة
	المقدمة	١
	المبحث الاول: البيئة واثرها على الفكر الرافدي	٣
	المبحث الثاني: ادب المراثي وانواعه	١٧
	المبحث الثالث: انعكاسات الشجن على النتائج الادبي والوطني	٣٥
	الخاتمة:	٤٠
	قائمة المصادر	٤٢

المقدمة

تعد حضارة العراق القديمة من أولى الحضارات التي عرفتها البشرية، إذ امتلكت جملة من المميزات جعلتها تكتسب قصب السبق في ميادين الحياة كافة. وقد تنوعت بتنوع الحياة ولم تكتفِ يوما في إعطاء دروسها لفهم الحياة لجعلها أسهل. فمنذ أن بدأ الإنسان فجر حياته وصراعه مع بيئته أملا في التكيف، بزغت لنا شمس فكر لم ينفك يوما في فك لغز الحياة. وسطر ذلك بأفضل أشكال الجد والعمل، ونتيجة لنتاج ذلك الشعب الذي سطر أروع معاني الفكر بمختلف الأقوام التي بنته، وانصهرت في بوتقة تلك الحضارة التي أبت أن تقدم فكرا من غير أن تكون حاضرة، وتعلن انه ثوبها، لذا كان لزاما أن نقدم جزءا مضيئا من تلك الحضارة علّنا نهتدي به.

إن موضوع أدب الرثاء في بلاد الرافدين من المواضيع المهمةوالكبيرة، إذ يغطي حقبة زمنية طويلة، شملت معظم العصور الحضارية لبلاد الرافدين.

وقد حظي أدب الرثاء باهتمام كبير من قِبَل العراقيين القدامى الذين تركوا لنا مادة غزيرة ومتنوعة، وذلك من خلال ما دونوه من الرقم الطينية، حيث كان للمراثي مكاناً هاماً في الأدب السومري والأكدي منذ عصور مبكرة، وأدّت الدراسات المستفيضة للنصوص المسمارية في مجال أدب الرثاء إلى تميزه حتى أصبح نمطاً خاصاً قائماً بذاته ضمن الأدب العراقي القديم.

وتتجلى أهمية أدب الرثاء في كونه يُظهِر العادات التي كان يعبر بها الناس عن أحزانهم ومشاعرهم تجاه الحوادث الجلل، فهو يعكس انفعالات الناس وتخوفهم من حوادث الانهيار الاجتماعي، كما أن الكارثة التي ألمّت ببلاد سومر عام ٢٠٠٤ق.م ألهمت الشعُراء والمنشدين في نظم قصائد مطولة، وتراكيب لمراثٍ مؤلمة من خلال تكوينهم صورة لحالة الحزن والشقاء المؤثر عبر التذكير بالمآسي والكوارث التي كان يحدثها الانهيار السياسي، كما هو الحال عند التذكير بالكوارث البيئية (الطبيعية). إنه نوع من كتابة التاريخ بأسلوب أدبي مؤثر له بعد وطني واضح، هدفه تذكير الأجيال بما فعله الأعداء والغزاة عند اجتياحهم البلاد تلك الحوادث التي لا

يمكن أن تمحى من الذاكرة، إلا أنها في الوقت نفسه لم يسمح لها أن تصل مرحلة اليأس، فالحافز موجود دائماً، فمراثي المدن كانت تعلن دائماً الإنجازات الملكية لإعادة بناء سومر في عمل وطني ديني يشترك فيه الناس جميعاً.

تعد دراسة موضوع (أدب الرثاء في بلاد الرافدين) من المواضيع الحضارية المهمة التي لم تحض بالقسط الكافي من الدراسة والتحليل؛ لأنها لم تستوفِ الموضوع بجوانبه كافة، كما أن الابحاث القليلة التي كُتِبَت عنه باللغة العربية لم تتناوله بشكل واضح وشامل؛ مما دفعنا إلى اختياره موضوعاً لهذه الدراسة كي تتناوله بشكل شمولي ومعمق.

وقد اعتمدت الدراسة على الكثير من المصادر العربية والرسائل الجامعة التي كان لها الدور الكبير في اغناء مادة البحث منها (صموئيل نوح كريمر، ثوركليد جاكوبسون، ماركريت كرين)

نظرا لتنوع مادة الدراسة وسعيا إلى تغطية كل ما يخص الموضوع (حسب فهمنا) قُسمت الدراسة على ثلاثة مباحث، تناول المبحث الأول البيئة واثرها في الفكر الرافديني وتضمن المبحث الثاني ادب الرثاء وانواعه بينما خصص المبحث الثالث انعكاس الشجن على النتاج الادبي والوطني.

واجهت الباحث صعوبات كبيرة تمثلت بقلة المصادر التي اهتمت بدراسة ادب الرثاء،غير ان هذا الامر لم يكن عائقا بل على العكس كان لي دافعا نحو مسيرة البحث المضنية.

نبقى على أمل أن نقدم ما يليق بحضارة العراق القديم، ونرجو الله أن يوفقنا لخدمة بلدنا كما فعل الأجداد.

الباحث

في البدء علينا ان نعرف ماهية البيئة وما هي اهميتها:

تعد البيئة الطبيعية مصدر الموارد التي يعتمد عليها الانسان اعتمادا كليا ويتوقف استخدامه لهذه الموارد على مدى احتياجاته ومستواه العلمي والتقني ولا دخل للانسان في وجود البيئة التي تكونها عناصر عدة كالتضاريس والمناخ والنبات الطبيعي وموارد المياه والحيوانات البرية والتربة... وغيرها. وهذه العناصر وإن كانت تبدو مستقلة عن بعضها الا انها في واقع الحال مرتبطة بعضها بالبعض الاخر ارتباطا وثيقا ضمن نظام معين يسمى النظام البيئي او الايكولوجي[1].

وهناك تعريفات كثيرة للبيئة كان منها (ان بيئة الحياة هي نتاج تاريخي للعلاقة بين الانسان والطبيعة) [2]. وبالتالي ترتكز نظرية البيئة على أن للظواهر الطبيعية والبيئة الجغرافية اثرا في مسار حياة الإنسان على الأصعدة النفسية والدينية والاقتصادية والسياسية كافة وحتى الاجتماعية. فالبيئة الجغرافية هي التي تشكل الموضوعات للفكر الإنساني، إذ إن البيئة المعلم الأول الذي يمتلك سطوة كبيرة على الإنسان، الذي لم يتمكن بعد من مجابهتها، فأجبرته على أن تكون رافدا مغذيا لأفكاره وبنيته الذهنية.

[1] سلطان، عبدالعزيز الياس، أثر البيئة الطبيعية في تاريخ وحضارة بلاد الرافدين، اطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة الموصل، ٢٠٠٠، ص٨.

[2] المصدر نفسه، ص٨.

إن الاهتمام بالعامل البيئي وتحليل مكوناته هو ضرورة مطلقة وملحة يجب الأخذ بها إذا أُريدَ إدراك مدى التطور والمؤثرات التي أدت إلى ذلك التطور بحيث أنتج تلك الحضارة الأصلية[١]. بسبب أن طبيعة الأرض والمناخ والموقع الجغرافي لا تنفك تؤثر في تكوين الإنسان وأنظمته وأخلاقه وقدراته العملية وملكاته العقلية والإبداعية[٢]. إذ شغلت الطبيعة فكر الإنسان منذ أقدم العصور، لأنها ميدان الفعل الإنساني. وقد أثرت مظاهرها في مخيلة الإنسان منذ فجر الإنسانية، فأصبحت محط اهتمامه وحاول على الدوام تفسير الظواهر الطبيعية بفطنة وذكاء، وعَجَزَ في أحايين كثيرة عن فهم سلوك تلك الظواهر، وهو الأمر الذي جعله يخشاها فاضطر إلى تقديسها وعبادتها، ليضفي عليها الصبغة الإلهية[٣]. ونظرا لتأثير البيئة في حياة الإنسان ونتاجه بكل أنواعه، فان أدب بلاد الرافدين عُد مرآة صادقة تعكس طبيعة الحياة الدينية والبيئة الجغرافية لسكان العراق القديم[٤].

كان العراق في مرحلة العصور الجليدية يقع مناخيا بين منطقتين متميزتين، هما المنطقة شبه الثلجية والمنطقة شبه الممطرة، فأثر ذلك في تكوين الوديان والأنهار، ومن الممكن بسبب من ذلك أن تكون الحضارة قد قامت في العراق منذ وقت مبكر، إذ ترجع أولى الأدوات الحجرية في شمال العراق إلى زمن يقدر بحدود مئة ألف إلى

---

[١] مارغرون، جان كلود، السكان القدماء لبلاد ما بين النهرين وسورية الشمالية، ترجمة سليمان العيسى، ط١، منشورات دار علاء الدين، (دمشق، ١٩٩٩)، ص٢٠.

[٢] . النجار، جميل موسى، فلسفة التاريخ، مباحث نظرية، ط١، المكتبة العصرية، (بغداد، ٢٠٠٧)، ص١٧٢.

[٣] . حمد، حامد حمزة ، فلسفة التاريخ والحضارة، (بغداد، ٢٠٠٤)، ص١٤٣.

[٤] سليمان، عامر، جوانب من حضارة العراق القديم، في كتاب العراق في التاريخ، ص٢١٥.

ستين ألف سنة قبل الميلاد[١]. وقد أثبتت الحقائق العلمية أن حضارة أي بلد تتأثر بشكل مباشر بعوامل البيئة، كالموقع الجغرافي والمناخ والتضاريس والأنهار وغيرها من العناصر البيئية[٢]، وان البيئة الطبيعية التي عاش فيها الإنسان في العراق القديم هي التي حددت مسيرته الحضارية عبر العصور المختلفة، ومنها نشاطاته المختلفة التي مارسها عبر تاريخه الطويل، التي ترتبط بدرجة كبيرة بالتضاريس والمناخ ومسارات الأنهار وخطوط توزيعها[٣]. فنجد على سبيل المثال أن طبيعة العراق القديم قد فرضت ظهور نظام دويلات المدن، التي تمتلك كل واحدة منها ملوكها وألهتها وحتى قوانينها بادئ ذي بدء، في حين ظهرت مصر كوحدة واحدة منذ وقت مبكر[٤] لذا فإن البيئة مفتاح لدراسة خصائص المجتمع البشري في أي مكان[٥]، ولاسيما في الحضارات الأصلية والمبكرة مثل حضارة العراق القديم، فمع تأكيد الدور المهم الذي أداه إنسان العراق القديم في نشوء الحضارات الأصيلة التي قامت فيه وتطورها، إلا أن للبيئة[٦] الطبيعية أثرا فعالاً وكبيراً في طُبع الحضارة العراقية القديمة بطابع خاص مميز، بل يصعب، في بعض الأحيان، فهم بعض المقومات الحضارية للعراق القديم دون الأخذ بنظر الاعتبار الظروف الطبيعية التي

---

[١] الطعان، عبد الرضا، الفكر السياسي في العراق القديم، دار الرشيد للنشر والطباعة، (بغداد، ١٩٨١)، ص٨٩.

[٢] الأنصاري، يوسف، جغرافية البيئات الطبيعية، (القاهرة، ١٩٧٣)، ص٧-٨.

[٣] المصدر نفسه، ص٨.

[٤] فخري، احمد، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص٢٨.

[٥] الزوكة، محمد خميس، البيئة ومحاور تدهورها وآثارها على صحة الإنسان، دار المعرفة الجامعية، (القاهرة، ٢٠٠٠) ، ص٧٨.

[٦] إسماعيل، نبيه إبراهيم، الإنسان والسلوك الاجتماعي، مركز الإسكندرية للكتاب، (الإسكندرية، ب، ت)، ص٥٤.

أثرت في توزيع المناطق النباتية والحيوانية والبشرية، ففي منطقة الشرق الأدنى القديم نلاحظ أنها تعكس التغييرات الجوية الطبيعية التي طرأت على العالم في العصر الجليدي، ونجد الآثار المناخية وأدلتها متمثلة في مدرجات البحيرات وضفاف الأنهار والوديان وفي أعالي الجبال[١]. ونظرا لأهمية البيئة الطبيعية، فان إنسان العصر الحجري القديم فضّل المناطق الجبلية، إذ توفر الكهوف الطبيعية ملجأ قريبا من أماكن رعي الحيوانات التي يعتاش عليها، في حين لم يتوغل إنسان العصر الحجري الحديث في ارض المستنقعات عندما تكون مياه الأمطار كافية للزراعة[٢]. لذا فان العامل المناخي قد أدى دورا رئيسيا ومتميزا في عملية الانتقال من الكهف إلى القرية ومن ثم في عملية التدجين والزراعة والاستقرار النهائي[٣].

نظرا لأهمية معرفة البيئة والمناخ، نجد الباحثين يؤكدون أن المعرفة الدقيقة والوثيقة بأحوال المناخ والبيئة تمكننا من تصور طبيعة النشاطات الاقتصادية، لأنها نابعة منه[٤]. لذا نجد أن السومريين استجابوا للطبيعة بانتقالهم من المناطق الجبلية إلى وسط وجنوب العراق بعد حصول الجفاف، و أدى إلى التشبث بتلك الأرض التي حولوها إلى حضارة مهدت للبشرية طريقها الطويل[٥]. ونتيجة للتغيرات التي أجروها منذ الإلف الرابع قبل الميلاد بالري من خلال التحكم في مياه نهري دجلة والفرات،

---

(١) علي، عبد القادر حسن، "إنسان الكهوف"، كتاب حضارة العراق، ج١، ص٧٦.

(٢) ساكز، هاري، عظمة بابل، ص٣٦.

(٣) الشيخ، عادل عبد الله، بدء الزراعة وأولى القرى الزراعية في العراق، ص٤٢.

(٤) كسار، أكرم محمد عبد، "مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية في العراق القديم"، ص٢٤٤.

(٥) توينبي، ارنولد، بحث في التاريخ، ص١٠٧.

تهيأت للإنسان ودفعته إلى إتباع سلوك معين دون غيره، وقد تبرز هذه الظاهرة على وجه الخصوص في فهم كثير من المعتقدات الدينية والتقاليد الاجتماعية والنظم الاقتصادية[١]. لذا فان العامل الجغرافي مهم جدا لأثره الكبير في البنى الفكرية كافة ولاسيما الدينية منها التي تعد من البنى الهامة التي تشكل الحضارة[٢].

أكد الباحثون أن للبيئة جوانب اقتصادية وفنية وأخلاقية يسعون إلى معرفتها، فهناك ارتباط بين البيئة والإنسان، فهما يشكلان وحدة لا يمكن الفصل بينهما. فلكل مجتمع إقليم خاص يرتبط به، وتحيط به ظروف بيئية وجغرافية تؤثر بشكل مباشر أو غير مباشر في صياغة أفكاره وتطبعها بطابع مميز[٣]، لان هناك عوامل عديدة تضافرت وتعاضدت وأصبحت شروطا لنشأة المدنية والحضارة، تمثلت في العوامل المادية بكل أنواعها والعوامل البيولوجية فضلا عن العوامل النفسية الدقيقة[٤].

كان للبيئة[٥] اثر في حياة الإنسان فضلا عن عوامل المناخ كالحرارة والبرودة والاعتدال، تلك الحركة التي يسببها دافع حب البقاء والحياة، وهي التي جعلت الإنسان يبحث عن المناطق التي تلائم طبيعة عيشه لتستمر حياته. ومع تطور أساليب العيش بدأ في وضع اللبنات الأولى في البناء الحضاري، فالعوامل المناخية

---

[١]. سليمان، عامر، والفتيان، احمد مالك، محاضرات في التاريخ القديم، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي العراقية، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، (جامعة الموصل، ١٩٧٨)، ص٢٨.

[٢]. حسين عبد الحميد احمد، البيئة والمجتمع، المكتب الجامعي الحديث، (الإسكندرية، ٢٠٠٦)، ص١٥٣.

[٣] المصدر نفسه، ص٩٧.

[٤] ول ديورانت، قصة الحضارة، ج١، ص٦.

[٥] يقصد بالبيئة كل ما يحيط بالإنسان من عناصر طبيعية وبشرية يؤثر في نموها وتوزيعها بطريق مباشر أو غير مباشر. للمزيد انظر: زين الدين عبد المقصود، أسس الجغرافيا الحيوية، دراسة ايكولوجية، ط١، مطبعة حسان، القاهرة، ١٩٨٠، ص٢٥

تمكن السومريون من الاستقرار على ضفاف تلك الأنهار، والقنوات الرئيسية[١]. لذا نعتقد أن الفكر ارتبط بالتاريخ والبيئة الطبيعية منذ القدم[٢]، ونتجت تلك الأفكار عن تفاعل الإنسان مع البيئة، فتمثل الأخيرة جغرافية التاريخ، ولكن على الرغم من قسوة الطبيعة وظروفها المناخية والبيئية على الإنسان الأول استطاع أن يتكيف معها ولم يكن ذلك التكيف كليا، بل إن الكثير من المظاهر الطبيعية كانت تقلقه على الدوام وتقض مضجعه وتحد من حركته، وما زال إلى يومنا هذا لا يستطيع السيطرة على بعض مظاهرها (الزلازل والبراكين والفيضانات وغيرها) [٣].

كان للبيئة الأثر الفعال في إنتاج الذهنية التي تمتعت بها الحضارة العراقية القديمة ونظرة الإنسان العراقي تجاه الحياة[٤]. وبقدر ما يتعلق الأمر بالعراق القديم فقد أسهمت الخصائص المميزة للبيئة في هذا البلد في عمليات التطور والخلق الحضاري، إذ أن لكل بيئة خصائص مؤثرة في نوعية التراث الثقافي الذي نشأ في ظلها، فالبيئة الجغرافية ذات الغطاء الوفير تسهم في تسهيل أنشطة المجتمع

---

[١] بارندر، جفري، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ص١١.

[٢] للاطلاع بشكل تفصلي على البيئة الطبيعية التي سادت العراق القديم والآراء حول هذا الموضوع انظر: سفر، فؤاد، "البيئة الطبيعية القديمة في العراق"، مج٣٠، ج١+٢، سومر، ص١-١٠.

[٣] حمد، حامد حمزة، فلسفة التاريخ والحضارة، ص١٤٤.

[٤] فرانكفورت، هنري، وآخرون، ما قبل الفلسفة، ص١٤٦.

الاقتصادية والاجتماعية خلال تكييفه لها[1]، فالإنسان يعطي ويستجيب ويقوم بالتعديل والتهذيب من اجل مصلحته طبقا لقوانين الطبيعة تضاريسيا ومناخيا[2].

نظرا للاهتمام البالغ بتأثير البيئة الطبيعية في الإنسان فان أتباع هذا المنهج عدّوا أصحابا لمدرسة تؤكد أن العوامل الطبيعية للمنطقة ولاسيما الظروف المناخية، أسهمت بشكل كبير في تكوين المظهر الخارجي للأفراد، وعينت طراز حياتهم، وقضت على كل فرد لا يملك الصفات التي تتفق مع البيئة[3]. لذا نجد أن الظروف البيئية قد حددت حركة الإنسان وطريقه عيشه، ويعتقد الباحثون أن مستوطني اريدو كانوا يؤلفون منذ البداية مجتمعا زراعيا، واجبروا، بتأثير الظروف المناخية، على العمل على تصريف المياه وفتح القنوات والعمل في وسائل الري، وكان هذا العمل ذا تأثير اجتماعي واسع، أرغم الأفراد على التعاون على شكل جماعات أوسع من العصر الحجري الحديث النموذجية، وبذا فقد مهدت الطريق لنشوء دويلات المدن في الألف الثالث قبل الميلاد[4]. فالمناخ اثر بشكل واضح في توزيع النشاط السكاني وتوزيع مناطق النباتات والحيوانات وأنواعها، وبطبيعة الحال قد انعكس على مجمل فعاليات الإنسان، وحدد نسب السكن فيها، فنجد أن المنطقة الجنوبية المتمثلة بالسهل

---

[1] علي، عبد القادر حسن، "إنسان الكهوف"، ص٧٧.

[2] احمد، حسين عبد الحميد، البيئة والمجتمع، ص٩٨.

[3] حمدان، زياد، الثقافات الاجتماعية المعاصرة، دار التربية الحديثة، عمان، ١٩٨٩، ص١٠١.

[4]. ساكز، هاري، عظمة بابل، ص٣٧.

الرسوبي اتسمت بتركز أعداد كبيرة فيها على عكس المناطق الصحراوية التي اتسمت بقلة ساكنيها[١].

كان لموقع العراق الجغرافي اثر مهم في سير تاريخه سواء كان ذلك من ناحية المناخ أو الزراعة أو الحياة الاقتصادية بوجه عام او من ناحية تركيب سكانه التاريخي واتصالاته بالأقطار الأخرى والأقوام المجاورة[٢]. فالموقع الجغرافي والمناخ لهما ابلغ الأثر في حياة الإنسان، حسب نظرية العامل الجغرافي، وعندما نتكلم عن الموقع فأننا نعني بشكل أساسي الموقع بالنسبة لخطوط العرض أي القرب والبعد عن خط الاستواء شمالا وجنوبا والموقع البحري[٣]، وان خارطة العالم القديم لحضارات عصور ما قبل التاريخ توضح بشكل مؤكد أن المناطق التي استوطنها سكان تلك الحضارات الأولى والحضارات التي تلتها لا تتعدى آسيا وأوربا وشمال افريقية، وبصورة أدق لا تتعدى الأجزاء الواقعة بين مدار السرطان والدائرة القطبية الشمالية من الكرة الأرضية، فالبيئة قد ساعدت على قيام الحضارات فيه دون غيرها من بقاع العالم[٤]. وطبقا لذلك إن الموقع الجغرافي يؤثر في نشأة البلد وتركيبة سكانه، كما

---

[١] العاني، خطاب صكار، البرازي، نوري خليل، جغرافية العراق، مطبعة جامعة بغداد، (بغداد، ١٩٧٩)، ص١٠٩.

[٢] . باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات، ج١، ص٢٢.

[٣] يقع العراق على خط عرض (٢٠"، ٥"، ٢٩") شمالاً و (٥٠"، ٢٢"، ٣٧") شمالاً، أما خطوط الطول فيقع بين (٤٥"، ٣٨") شرقاً و (٤٥"، ٤٨") شرقاً. للمزيد انظر : شريف، إبراهيم، الموقع الجغرافي للعراق، ج١، مطبعة شفيق، (بغداد، ب ت)، ص٧-٨.

[٤] رشيد، فوزي، "نشأة الدين والحضارة والعصور الجليدية"، سومر، مج٣٢، ج١-٢، (١٩٧٦)، ص١٢.

يؤثر في قدراته العسكرية(الهجومية. والدفاعية) وتوجيه نشاطاته الاقتصادية[١]، فنجد أن العراق كان طريقا للهجرات أو للتجارة الخارجية[٢]، فأصبح ذا شأن تجاري هام تركزت فيه ثروة طائلة دفعت القبائل الامورية والبدو الرحل على المدن السومرية البابلية[٣].

إن المناطق التي سكنها الإنسان في بداية حياته هي المناطق الدفيئة والمعتدلة، ويتفق معظم الباحثين على أن الحضارات الأولى للإنسان ظهرت في مناطق معتدلة وفرت للإنسان فرص تطوير مصادر الأرض ولاسيما الزراعة منها، فتحول الإنسان من الحياة البدائية إلى الحياة الحضرية المتطورة[٤]، وقد كانت الأنهار من أهم الأسباب التي دفعت إلى تجمع السكان في جنوب العراق في المدن[٥]. لذا نجد إن حضارة أي بلد متصلة بداية ومرتبطة بأرض ما، وأن جزءا كبيرا من واقعها كان رهنا بمتطلبات وميزات أتاحتها تلك الرقعة الجغرافية[٦].

---

[١]. خلف، جاسم محمد، محاضرات في جغرافية العراق الطبيعية والاقتصادية والبشرية ، ط٢ ، (القاهرة، ١٩٦١)، ص٧.

[٢]. إن موقع العراق القديم جعله عرضة لدخول الكثير من الأقوام، إذ أصبح بفعل ذلك نتاجه متنوعا كان سمة للحضارة العراقية القديمة. وكانت مصر على عكس ذلك، إذ عاش المصريون القدماء الآلاف السنين دون أن يعكر تطورهم وافد خارجي، لذا نرى تأثير العزلة الجغرافية والتاريخية واضحا على تأصل وتجذّر العبادات والثقافة المصرية في مصر. للمزيد انظر: عبد الرحمن، عبد الهادي، التاريخ والأسطورة، ط١، دار الطليعة للطباعة والنشر، (بيروت، ١٩٩٤)، ص٢٠-٢٦.

[٣]. زايد، عبد الحميد، الشرق الخالد، مقدمة في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى من أقدم العصور حتى عام ٣٢٣ق.م، دار النهضة العربية، (القاهرة، ١٩٦٦)، ص٣-٤.

[٤]نجم، حسين طه، وآخرون، البيئة والإنسان، دراسات في الايكولوجية البشرية، ط٣، وكال المطبوعات للنشر، (الكويت، ١٩٨٤)، ص٧٥.

[٥]ساكز ، هاري، عظمة بابل، ص٤٠.

[٦] . برودبل، فرناند، تاريخ وقواعد الحضارات، ص٨.

بسبب ارتباط الإنسان في عصور ما قبل التاريخ بالظروف البيئية، واعتماده عليها واستجابته لخصائصها، انحصر اقتصاد عصر حلف[١] على سبيل المثال، في الإنتاج الزراعي والرعوي اللذين أسهما في تعزيز مرحلة إنتاج القوت وتطويرهما في منطقة غنية بأراضي الرعي وفي تربة خصبة متجددة باستمرار. إذ كانت الزراعة الديمية أساس التقنية التي اعتمدت في زراعة عصر حلف[٢]. لذا كانت معرفة الزراعة وانتشارها تحدد تحديدا مباشرا ورهنا بالمناطق المناخية[٣].

نستخلص مما سبق أن المجتمع يتأثر بالمكان الذي يسكنه ويعيش فيه، ويتحكم المكان بشكل مباشر في أمنه الداخلي، إذ تتغير قيمة وأهمية الموقع الجغرافي وتأثيره تبعا لما يحدث من تغيرات من أي نوع كانت وذات تأثير في العلاقة المكانية.

اما من ناحية تأثير البيئة على منظومة الفكر الرافديني:

[١] للاطلاع على التفاصيل الخاصة باقتصاد حلف انظر: كسار، أكرم محمد عبد، عصر حلف في العراق، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، (١٩٨٢).

[٢] كسار، أكرم محمد عبد ، "مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية في العراق القديم"، سومر، ص٢٤٥.

[٣] فرسزفس، ولتر، أصول الحضارة الشرقية، ص٦

. لذا يمكن أن نقف جليا على اثر البيئة والظواهر الطبيعية في خلق البنى الفكرية إذا اطلعنا على مجاميع الآلهة العراقية القديمة واختصاص كل واحد منها حسب تصنيف الأستاذ جاكبسون الذي قسمها إلى أربعة أصناف:

أ- آلهة الاهوار الجنوبية حيث عبدت القوى الكامنة في المياه والقصب، ومن آلهتها أيا (انكي) وابنه مردوخ (اساللوخي) ودموزي-ابزي اله مدينة كينيرشا جنوب شرق لكش تم نانشة ربة نينا قرب لكش.

ب- آلهة البساتين الجنوبية: وهي ذات ارتباط بالعالم السفلي ويرتبط بعضها مع الأشجار والخضرة ومنها إننا زوجة دموزي ثم الإله ننازو اله مدينة اينكير (بين لارسا وأور) وزوجته ننكرزيدا ابنة ايا. والإله ننكرزيدا اله مدينة كيشبندا قرب اورو الإله دامو رب كرزو ابن ننكرزيدا.

ج- آلهة المناطق الرعوية وألهتها سن، نينخار اله مدينة كيابريك قرب مدينة أور ورب الرعد والمطر وابن سن وزوج ننكيرا اله الزبد والقشطة. واوتو (شمس) زوج شنيردا وابنهم اله الماعز ورعيها والإلهات ننسون وننخرساك (بيلي ايلي) ربة أدب وكيش واننا (عشتار) وشارا ابنة اننانا وربة مدينة اومّا ثم الإلهان دموزي وايشكور. آلهة المناطق الزراعية: وهم انليل وزوجته ننليل إلهة تومال (بين نفر وشروباك) والإله نركال والإلهة نيسابا والهة مدينة إيريك قرب الوركاء، والإلهة باو (كولا) ربة اوروكو قرب لكش وايسن.

ج- آلهة المناطق الزراعية: وهم انليل وزوجته ننليل إلهة نومال (بين نفر وشروباك) والإله نركال والإلهة نيسابا والهة مدينة إيريك قرب الوركاء، والإلهة باو (كولا) ربة اوروكو قرب لكش وايسن[1].

لذا فقد مثلت رموز الآلهة وأشكالها بهيئة أشياء مادية كانت على صلة وثيقة بحياة السكان وأعمالهم وبيئتهم[2]، ولم تكن آراء تأثيرات العوامل البيئية حكرا على الباحثين والفلاسفة التجريبيين، بل شمل حتى أصحاب الاتجاه المثالي، وعلى رأسهم الفيلسوف الألماني فردريك هيجل، فلم يغفل اثر العوامل الجغرافية في الإنسان وحركة التاريخ (الفكر). فهو يرى أن الإنسان والطبيعة تساعد على إنتاج روح شعب ما (إنتاج حضارة) كما يرى أن الطبيعة هي المكان الذي تحقق فيه الروح الكلية أهدافها على كل الشعوب[3]، مما يعني منح العامل الجغرافي دورا في حركة التاريخ وسيره[4]، وأكد أن بداية التاريخ ونهايته كان في آسيا وأوربا نظرا للعوامل الجغرافية، لان آسيا الشرقية والبلاد التي تقع وراء جبال الألب تمثل طرفي البؤرة المضطربة

---

[1]. سامي سعيد الأحمد، المعتقدات الدينية في العراق القديم، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، (بغداد، ١٩٨٨)، ص١١-١٢.

[2]فاتن موفق فاضل، رموز أهم الآلهة في العراق القديم (دراسة تاريخية دلالية)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، (٢٠٠٢)، ص٨.

[3]هيجل، محاضرات في فلسفة التاريخ، ترجمة إمام عبد الفتاح، مراجعة فؤاد زكريا، ط٢، دار التنوير للطباعة والنشر، (بيروت، ١٩٨١)، ج١، ص١٥٢-١٥٤.

[4]النجار، جميل موسى، فلسفة التاريخ، ص١٧٨.

للحياة البشرية التي تقع جول حوض البحر المتوسط (لقد أشرق في آسيا ضوء الروح، ومن ثم بدا التاريخ الكلي)[١].

إن الإنسان العراقي القديم كان شديد الانفعال بالطبيعة، فنجده خلافا للإنسان المعاصر، لم يكتفِ بذكر الحدث وإنما كان حريصا على استثارة القوى الكامنة في الطبيعة التي سببته في البدء، وذلك من خلال إقامة الطقوس والشعائر والاحتفالات التي يحاول من خلالها محاكاة ما حدث في الدهور الأولى على يد الآلهة، إيمانا منه بان ذلك سيؤدي إلى النتائج نفسها التي حققتها الآلهة في الأساطير القديمة. لذا يعتقد الباحثون انه تصور يقوم على منطق سحري بدائي مفاده الاعتقاد بإمكانية إحداث الشيء بتقليد عملية حدوثه. ومن هنا نشأت الدراما الدينية التي كان الإنسان يستعيد من خلالها تفاصيل قصة الخليقة البابلية، قصة الصراع بين قوى الخير والشر[٢].

أما فيكتور كزن:(Victor Cousin) فقد تتلخص استنتاجاته في العبارة الآتية التي مثلت وجهة نظره في العلاقة بين البيئة والإنسان عندما قال "أعطني خريطة لدولة ما.. ومعلومات وافية عن موقعها ومناخها ومائها ومظاهرها الطبيعية الأخرى ومواردها، وبإمكاني في ضوء ذلك أن أحدد أي نوع من الإنسان يمكن أن يعيش في

[١] حمد، حامد حمزة، فلسفة التاريخ والحضارة، ص١٥٣.

[٢] نجم، حسين طه، وآخرون، البيئة والإنسان، ص٦٦.

هذه الأرض، وأي دولة يمكن أن تنشأ على هذه الأرض، وأي دور يمكن أن تمثله هذه الدولة في التاريخ[1]."

لا يخفى ما لدور التاريخ والحضارة من أهمية في التأثير في الإنسان، إذ توجد بعض الدول تتشابه في ظروفها البيئية ولكن تاريخها وحضاراتها لهما دور أساسي يختلف تماماً عن الدول المتشابهة معها في ظروفها البيئية. لذا فان تكوين الحضارات كان نتيجة تضافر وتفاعل العوامل البيولوجية و عوامل البيئة الجغرافية[2].

وخلاصة القول أن الإنسان قد تأثر بالعوامل الجغرافية بشكل كبير، وقد انفعل بها وكانت نتاجاته وموضوعاتها منطلقة من بيئته التي عاشها. إذ حدد الظروف المناخية والجغرافية معالم وحدود حركة الإنسان المكانية وأساليب تفكيره وأنماطه لسلوكه بحيث مكن العلماء من الوصول إلى حقيقة تأثير بعض البيئات وفاعليتها لتنتج أشكالا فكرية معينة ذات ميزة نابعة من تمايز البيئة واختلافها من منطقة إلى أخرى.

[1] كامل، فاروق عز الدين، بيئات وسلالات الإنسان، ص٣١.

[2] توينبي، ارنولد، بحث في التاريخ، ص٨٤.

ادب المراثي وانواعه:

يشير الباحثون المختصون إلى قِدَم النتاجات الأدبية العراقية القديمة، التي تمثل أولى المحاولات الأدبية الإبداعية في التأريخ الإنساني، كما ويؤكدون على تداول تلك الآداب مُشافهة في عصور سبقت التدوين[١].

وقد وصلتنا أعداد كبيرة من المدونات على الرقم الطينية باللغتين السومرية والأكدية، وهو إرثٌ ثَرٌ تميز بالأصالة والتنوع، وعلى الرغم من كثرة النصوص المسمارية المكتشفة في المواقع الأثرية في العراق، التي تتجاوز أعدادها النصف مليون، فإن نسبة قليلة منها التي تخص النتاج الأدبي. ويقدر بعض المختصين النصوص الأدبية بحدود خمسة آلاف رقيم، او يزيد على ذلك بقليل[٢].

وقد كانت النصوص او القطع الأدبية تنتقل من مدينة إلى أخرى، ومن عصر إلى آخر، ومن شعب إلى شعب في عملية النضوج والتطور الحضاري[٣]، كما عكست كثيراً من المعتقدات الدينية للسكان، وعاداتهم، وتقاليدهم الاجتماعية[٤]، وإنَّ القسم الأعظم من النتاج الأدبي في حضارة بلاد الرافدين قد نشأ على هيئة تراث قومي شاركت في إنتاجه عدة أجيال من الشعراء والمنشدين والرواة[٥].

---

(١) الراوي، فاروق، "الأدب العراقي القديم، التصدي للتحديات"، آفاق عربية، ٤(١٩٩٢)، ص٦٨.

(٢)علي، فاضل عبد الواحد، الأدب، حضارة العراق، ج١، بغداد، ١٩٨٥، ص٣٢٠-٣٢١.

(٣)هوك، صموئيل هنري، الأساطير في بلاد ما بين النهرين، ترجمة، يوسف داؤد عبد القادر، بغداد،١٩٦٨، ص١.

(٤)علي، فاضل عبد الواحد، المصدر السابق، ص٣٢١.

(٥)باقر، طه، ملحمة كلكامش، بغداد، ١٩٨٠، ص٢٣.

وقد بدأت نقطة الانطلاق في التراث الأدبي وازدهرت عن الأدب السومري القديم حيث طوّر السومريون ضروباً أدبية متنوعة غنية، وإلى جانب ذلك وُلِدَ الأدب الأكدي ونما، ووصل عهده الزاهر في العصر البابلي القديم[١]، إذ نجد أبدع الأساليب، وأروع الأعمال الأدبية لدى البابليين والآشوريين، ومن الأدب الآشوري ما وصلنا عبر الكنز الثمين المتمثل بمكتبة آشور بانيبال التي ضمّت مجموعة مهمة، وكبيرة من النصوص الأدبية القديمة سواء أكانت سومرية أم أكدية[٢].

إن ما لدينا من نصوص أدبية سومرية وأكدية جاءتنا بالدرجة الأولى من مصدرين مهمين، هما: المكتبات الملكية في آشور ونينوى (القرن ١٢-٧) ق.م[٣]، ومدارس الكتبة البابلية (في القرون الأولى من الألف الثانية ق.م). كما أن النشاط الواسع في الاستنساخ، وفي الفهرسة للآداب السومرية في العصر البابلي القديم الذي قام به كتبة اللغة الأكدية، والحماس الذي أظهروه في المحافظة على آداب لغة ليست لغتهم، كان ثمرة تعايش السومريين والاكديين، وتبادل التأثيرات المتقابلة بين السومرية والأكدية التي ترجع بأصولها إلى عصر فجر السلالات[٤]، وقد أصبحت المدرسة مركزاً لدراسة النتاجات الأدبية السومرية، واستنساخها، وتنقيحها. ويمكن القول إن كل التآليف الأدبية السومرية تقريباً التي جاءتنا من هذا العصر، هي إما نسخ تم نقلها من ألواح أصلية أقدم، أو أنها مثلت تآليف منقحة أُعيد كتابتها مجدداً،

---

[١] بوتيرو، جين، وآخرون، الشرق الأدنى، الحضارات المبكرة، ترجمة، د. عامر سليمان، الموصل، ١٩٨٥، ص٢١٧-٢١٨.

[٢] شمار، جورج بوبيه، المسؤولية الجزائية في الآداب الآشورية والبابلية، ترجمة، سليم الصويص، بغداد، ١٩٨١، ص٢٣.

[٣] الجميلي، قصي عباس، المكتبات في العراق القديم خلال الألف الأول ق.م، رسالة ماجستير غير منشورة - جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم الآثار، ١٩٨٨.

[٤] بوتيرو، جين، المصدر السابق، ص٢١٥-٢١٦.

لكنها كُتِبَتْ بحيوية وحماس أكبر، وإن كل ذلك تم إنجازه في دور التعليم، أي: في ما يعرف بـ(مدارس العصر البابلي القديم)[١].

ويعود تأريخ أولى النصوص الأدبية السومرية المدونة إلى حوالي منتصف الألف الثالثة ق.م، حيث دُوِّنَت نصوص مدينة شروباك[٢] ونصوص تل أبو الصلابيخ[٣] ونصوص نفر[٤] وأدب[٥] وكرسو[٦]. واستمرت النصوص الأدبية السومرية بالظهور حتى عصر ايسن لارسا في الربع الأول من الألف الثاني ق.م. وقد أكتشفت هذه النصوص المدونة بالخط المسماري على الرقم الطينية أثناء عمليات التنقيب الأثري في مواقع تلك المدن، ومدن أخرى في جنوب العراق[٧].

لقد أصبح بإمكان القارئ المعاصر الإطلاع على النصوص الأدبية السومرية؛ نتيجة جهود مثمرة لعدد من علماء المساريات المختصين باللغة السومرية، الذين قاموا بترجمتها، ونشرت في دوريات أجنبية، خلال الأعوام الخمسين الأخيرة. وبالطبع ما كان لهذه الجهود أن تفلح لولا ما بذله العلماء الرواد الذين استطاعوا خلال

---

[١] علي، فاضل عبد الواحد، "الأدباء السومريون وأحداث في التاريخ"، آفاق عربية، ٧(١٩٩٢)، ص٧٣.

[٢] شروباك: وتعرف خرائبها الآن باسم (فارة)، وهي تقع إلى الغرب من مدينة (اوما). يُنظر: رشيد، فوزي، الشرائع العراقية القديمة، بغداد، ١٩٧٩، ص٢٢٧.

[٣] أبو الصلابيخ: موقع مدينة سومرية من عصر فجر السلالات، يقع على بعد ٢٥كم إلى الشمال الشرقي من الدغارة في محافظة القادسية، ينظر:

[٤] نفر: مدينة في وسط سومر كانت مدينة الإله أنليل، تبعد ٧٨كم عن عفك، وتلفظ بالسومرية (نبرو)، وبالأكدية: نيبور، ينظر: رشيد، فوزي، المصدر السابق، ص٢٢٨.

[٥] أدب: وتعرف حالياً باسم بسماية، تقع حوالي ٦٠كم إلى الغرب من مدينة الديوانية. ينظر: المصدر نفسه، ص٢٢٤.

[٦] كرسو: وهي جزء من دولة سلالة لكش، واسمها الحديث (تلو)، وتقع بين الشطرة والرفاعي. ينظر: المصدر نفسه، ص٢٢٧.

[٧] حنون، نائل، "الكشاف المختصر للنصوص الأدبية العراقية القديمة، القسم الأول، النصوص الأدبية السومرية"، المشهد الثقافي الجديد، النجف، ٢٠٠٠، ص٣٢.

النصف الأول من القرن العشرين حل رموز الكتابة المسمارية، ومن ثم وضعت أسس لترجمة اللغة السومرية إلى اللغات الحية[١].

اما انواعه:

اولا: مراثي المدن: يحتل رثاء المدن المدمرة مكاناً هاماً في الأدب السومري والأكدي، وتعد مناحات المدن واحدة من أقدم نصوص الرثاء التي وصلت إلينا، والتي اختصت بحادثة تأريخية محددة ألا وهي دمار تلك المدن وسقوطها، ولم يكن سُقوط المدينة خسارة لتلك المدينة أو العاصمة فحسب، بل تعدى الأمر ذلك؛ لشدة هول الحدث الذي حل بتلك العاصمة أو المدينة، وكذلك الواقع الديني لها بوصفها مدينة الإله، وفيها معبده، وهو المكان المختار لإقامته. فكلما حُرِقَت مدينة، وهُدِمَ معبدها، وشُرِّدَ أهلها، غالباً ما فُسِّرَ بتخلي الآلهة عن أهلها إذ أبيحت مدينتهم بيد أعدائهم ولولا ذلك التخلي لما حدث ما حدث[٢].

مرثية مدينة اور:

تعد هذه المرثية من أقدم المراثي التي وصلت إلينا حتى الآن، ويعود زمن تدوينها إلى العصر البابلي القديم (٢٠٠٤-١٥٩٥ ق.م) ، ويرقى زمن أقدم نسخ لنصوصها

[١] حنون، نائل، المعجم المسماري، معجم اللغة الأكدية والسومرية والعربية، بغداد، ٢٠٠١، ص٣٧-٦٨.

[٢] الأسود، حكمت بشير، أدب الرثاء في بلاد الرافدين في ضوء النصوص المسمارية، رسالة ماجستير، كلية الاداب، جامعة الموصل، ٢٠٠٢، ص١٤.